المحاضرة السادسة

1. **الغذامي بين التفكيكية والتشريحية**

ظهرت التفكيكية مع جاك ديريدا كرد فعل على البنيوية اللسانية، وهيمنة السيميوطيقا على الحقل الثقافي الغربي، ويعني هذا أن التفكيكية – حسب جاك ديريدا – فلسفة التقويض الهادف، والبناء الإيجابي، جاءت لتعيد النظر في فلسفات البنيات والثوابت، كالعقل، واللغة، والهوية، والأصل، والصوت، وغيرها من المفاهيم التي هيمنت على التفكير الفلسفي الغربي، أو جاءت لتنتقد المقولات المركزية التي ورثها الفكر الغربي من عهد أفلاطون إلى الستينيات من القرن العشرين، فترة ظهور التفكيكية مع جاك ديريدا[1].  
وقد استعمل جاك دريدا (Jack derrida) مصطلح (التفكيك/déconstruction ) لأول مرة في كتابه (علم الكتابة/ الغراماتولوجيا/De la grammatologie)، مـتأثرا في ذلك بمصطلح التفكيك لدى مارتن هايدجر (Heidegger) الذي شغله في كتابه( الكينونة والزمان)، وليس التفكيك عند جاك ديريدا بالمفهوم السلبي للكلمة، حيث ترد كلمة التفكيك في القواميس الفرنسية بمعنى الهدم والتخريب، لكن ترد في كتابات جاك ديريدا بالمعنى الإيجابي للكلمة بالمفهوم الهيدجري.أي: ترد كلمة التفكيك من أجل إعادة البناء والتركيب، وتصحيح المفاهيم، وتقويض المقولات المركزية، وتعرية الفلسفة الغربية التي مجدت لقرون طوال مفاهيم مركزية، كالعقل، والوعي، والبنية، والمركز، والنظام، والصوت، والانسجام… في حين، إن الواقع قائم على الاختلاف، والتلاشي، والتقويض، والتفكك، وتشعب المعاني، وتعدد المتناقضات، وكثرة الصراعات التراتبية والطبقية. ويعني هذا أن دريدا يعيد النظر، عبر مصطلح التفكيك، في مجموعة من المفاهيم التي قامت عليها الأنطولوجيا والميتافيزيقا الغربية تثويرا وتقويضا وتفجيرا. وهكذا، فمصطلح التفكيك ليس بمعنى الهدم السلبي، وليس بمعنى النفي أو الرفض أو التقويض والإنكار كما في فلسفة نيتشه، بل بمعنى إعادة البناء والتركيب، وتصحيح الأخطاء، وفضح الأوهام السائدة.

* **أسس التفكيكية**

قامت التفكيكية على مجموعة من المبادئ والأسس:

* موت المؤلّف / سلطة القارئ:

لقد عمل النقد التقليدي منذ وقت طويل على تقديس المؤّلف وجعله الفضاء الوحيد الذي يتمحور في فلكه الخطاب، معتبرا إياه المرجعية الأولى لتحليل النص الأدبي، وسبر أغواره

إلا أن التفكيكيين نادوا بموت المؤّلف ، و دعوا إلى ضرورة قراءة العمل الأدبي بعيدًا أو مفصولا عن كاتبه ، وتسليط أضواء البحث والتحليل عن النص المكتوب كونه يمّثل لغة ، فهي ما يتحدث في الأدب وليس المؤلف نفسه ، والبداية كانت مع رولان بارت (التي صاغها عام (la mort de lauteur) 1968 في نظريته الشهيرة (موت المؤّلف فحطم صنم المؤّلف و قوض مملكته.

* الاختلاف وتناسل المعنى:

من المفردات التي يرفض"دريدا"نفسه أن يسميها كلمة أو مفهومًا، والتي ارتبطت باستراتيجية التفكيك عامًة وباسم"دريدا "خاصًة كلمة"deference  " والتي خصص لها دريدا بحثًا خاصا نشره بالفرنسية بعد بحثه الذي ألقاه في جامعة جونز هوبكتر بعام واحد . وبرغم تعرض بعض مفاهيم ومقولات دريدا للصدأ بدرجات متفاوتة فإن لفظة الاختلاف لم تفقد بريقها الذي اكتسبته منذ تلك الأيام المبكرة لاستراتيجية التفكيك "

* التناص:

لم تثر كلمة جدلا نقديا شغل الحداثيين جميعا قدر الجدل الذي أثارته كلمة التناص intertextualité ربما يكون أحد أسباب الجدل في العربية هو غرابة المصطلح النقدي الذي نقلت إليه. فأحيانا تترجم إلى "تناص" وأحيانًا أخرى تترجم إلى "بينصية"، وربما تكون الترجمة الأخيرة أقرب: Intertext ومعناها أ النص ليس تشكيلا مغلقا أونهائيا.ولكنه يحمل أثار نصوص سابقة، إنه يحمل رمادًا ثقافيا.

* الكتابة:

تعد الكتابة من أهم المقولات التي ناقض بها دريدا الفكر الغربي الذي كان يم جد الصوت والكلام باعتبارهما أقرب إلى إمكانية الحضور ،في حين لم تحظ الكتابة بعناية عند الفلاسفة الغربيين لأنها حسب رأيهم :" على تدمر سلطان الحقيقة الفلسفية" ذلك أن الحقيقة التي ينشدونها تقوم على أفكار مجردة ، ورأوا أن الكلمة المنطوقة وحدها لها القدرة على نقل هذه الحقائق كما هي إنها تمثل الحضور الكامل للعالم "غير أن دريدا ذهب لتأكيد العكس معتبرًا أن "موت الكلام هو أفق الّلغة، و أصلها"

فاسحا المجال لمقوله الكتابة أو ما يصطلح عليه الغرامو تولوجيا، ويقصد به (علم الكتابة )وهو عنوان لأحد كتبه المهمة أصدره ( 1967 )، حيث قام بدحض كل الحجج التي تقول بأفضلية الكلام على الكتابة وبهذا نقض دريدا اللامركزية الغربية القائمة على الأصوات معتمدًا في ذلك على أفكار دسوسير لاسيما في تفريقه بين الّلغة/ الكلام والكتابة/الصوت وغيرها من الّثنائيات التي قدمها العالم السويسري فرديناند ديسوسير، فقد أشار دريدا إلى عدم المطابقة بين الكلمات ومفهومها سابقا في الوجود ، وإلا كيف وجدت لغات مختلفة.

وقد أدت ثنائية الحضور- الغياب دورا في توضيح العلاقة (الكلام/الكتابة) ، لأن الغياب يدخل مع بداية الكتابة المكملة للكلام(الحضور) وفي هذا يؤكد دريدا في مناقشته لاعترافات روسو بأن : " الكتابة هي التي أتاحت للآخرين فرصة التعرف عليه كما هو ، أو على ما يسميه هو"ذاته( الداخلية " أو الحقيقية التي لا تتبدي في الحضور \_ إلا في العلامات المكتوبة...".

إن الكتابة دعوة للدخول إلى المجهول، تغري الكاتب و القارئ كي يسعى إلى كشف ما هو خفي بأسلوب لغوي جديد قائما على الرمزية والانفتاح والتعدد. ولعّلنا نصل في الأخير إلى أن التفكيكيين قد طاردوا المعنى والدلالة بشتى الوسائل ،وكانت الكتابة أهم الوسائل والاستراتيجيات التي استعملوها كونها تمثل إنتاجا إبداعيا باقيا لا يزول، في وجه المعنى الغائب لتستمر عملية المطاردة له ، وفق مبدأ اللعب الحر بين الدال والمدلول ...

* **منهج عبد الله الغذامي النقدي:**

ولد عبد الله الغذامي عام 1946 في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم وسط المملكة العربية السعودية ، وهو ناقد أدبي وأكاديمي سعودي، مارس التدريس في كلية الآداب بجامعة الملك سعود [بالرياض](https://www.aljazeera.net/citiesandregions/city/2014/11/8/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%B6). وكان أول من أدخل مصطلح الحداثة إلى الساحة الثقافية [السعودية](https://www.aljazeera.net/encyclopedia/countries/2014/10/18/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9) في مواجهة مع المحافظين، وهو صاحب مشروع في النقد الأدبي وآخر حول المرأة واللغة.

تميزت أعمال الغذامي بالتنوع، فهو صاحب مشروع في النقد الثقافي وآخر حول المرأة واللغة، وكان أولى كتبه الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية.

نهج عبد الله الغذامي في كتابه الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية نهج الدارسين العرب، حين راح يثمن الأعمال التي قدمها الدارس السويسري فردينان دي سوسير، ولم يغفل الأعمال التي قام بها كل ليفي شتراوس وفوكوه ومالارميه.

جعل عبد الله الغذامي أمر تحديد مفهوم البنيوية أمرا مستعصيا، نظرا لمدى تداخل العناصر المكونة للنص الأدبي، ولعل هذا التداخل المعقد هو ما جعل تعريف البنيوية أمرا صعب التحديد حتى بدت وكأنها تصور ذهني يستحيل تبيانه.

ولم يترك الباحث الأمر مبهما، بل حدد أساسيات البنيوية، وضمنها في ثلاثة عناصر هي: الشمولية ، والتحول والتحكم الذاتي وهذه المكونات تجتمع لتعطي في مجموعها خصائص أكثر وأشمل من مجموع ما هو في كل واحدة منها على حده، لذا فالبنية تختلف عن الحاصل الكلي للجمع، لأن كل مكون من مكوناتها لا يحمل نفس الخصائص إلا في داخل هذه الوحدة.

لقد أبرز عبد الله الغذامي دور الصوت اللغوي في الدراسة البنيوية:" ولمفهوم )الصوتيم( تأثير بالغا على تصورات الفكر البنيوي منذ أن تحمس ليفي شتراوس في ما سماه )بالثورة الصوتية( وجعله أساسا في دراسته للأساطير، والأمر الذي شد انتباهنا من خلال تطرقنا لدراسة عبد الله الغذامي، هي النماذج التطبيقية التي كان يستعين بها من أجل تدعيم أفكاره كلما استدعى الأمر لذلك، ومنها تطرقه للمقدمة الطللية في معرض حديثه عن الصوت اللغوي، فهي تعد قانونا إجباريا للشاعر الجاهلي، كما أنه مثل للعلاقات التي جاء بها رولان بارت من خلال تطبيقها على الشعر العربي.

وعليه، يمكن القول بأن عبد الله الغذامي كان من الدارسين العرب الحريصين على إفادة القارئ العربي بالأفكار التي سبقنا إليها الغرب، فكان منظرا في استعانته بما توصلت إليه الدراسات الغربية، ومطبقا على المتون العربية من شعر ونثر.